**خطبة الجمعة – مكة – ١٣ – ٥ – ١٤٤٣ هـ – الخطيب: الشيخ سعود الشريم**
**عنوان الخطبة: بر الوالدين**

**الخطبة الأولى**

**الحمد لله العليّ العظيم، ذي الوجه الكريم، والسلطان القديم، خلق فسوّى، وقدّر فهدى، يعلم ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو الفتّاح العليم.**

**وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، البرّ الرؤوف الرحيم.**

**وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفِيُّه وخليله وخيرته من خلقه، بلّغ رسالة ربه وأدى أمانته، وتركنا على المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك ذميم. فصلى الله وبارك عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وعلى أصحابه الغرّ الميامين، وعلى من تبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا..**

**أما بعد.. فيا أيها الناس اتقوا الله حق التقوى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى واحذروا الذنوب والعقوق والمعاصي فإن أقدامكم على النار لا تقوى، ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفسٌ ما قدّمت لغدٍ واتقوا الله إن الله خبيرٌ بما تعملون﴾.**

**عباد الله إن ثمة حقًا بشريًا عظيمًا، له من الهيبة والوقار ما ليس لغيره، إنه حقٌ لا منّة فيه لمن أدّاه، ولا براءة من اللؤم والسوء لمن تهاون فيه، وإنه لا أقبحُ فيه بين الناس من حَورٍ بعد كور، ولا من نقضٍ بعد غزل، ولا أشدّ مضاضة فيه من نكرانٍ تجاه جميل، ولا غدرٍ تجاه وفاء، ولا غلظةٍ تجاه رحمة، ولا عقوقٍ تجاه بر، بل إنه لا أخسرُ من امرئ يُفتح له بابٌ من أبواب الجنة فيأبى ولوجَهُ بمحض إرادته! بل يقف دونه مستنكفًا ثم يستدير فيتخذه وراءه ظهريًا، نائيًا بنفسه عن ولوج ما فيه سرّ فلاحه وسعادته في دنياه وأخراه.**

**إنّه برّ الوالدين –عباد الله– الذي هو بابٌ من أبواب الجنة، مشرع للإحسان إليهما ومصاحبتهما في الدنيا بالمعروف والبذل وخفض جناح الذل لهما من الرحمة.**

**الأبوان –عباد الله– هما للأولاد في مهامه دنياهم كالشمس والقمر، بهما يستضيئون دروبهم، ويؤنسون وحشتهم، ويستلهمون سلوتهم، فهما كما قال يوسف لأبيه عن رؤياه: ﴿يا أبتِ إني رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾. فكأنّ الأب شمسٌ لما يبذله من الكدح والكسب لولده في النهار، وكأنّ الأم قمرٌ لما توليه من سهرٍ له وشفقةٍ عليه في الليل.**

وإنّ من مؤكدات سعادة المرء في دنياه: أن يدرك أبويه على قيد الحياة؛ لينهل من معين برهما، ويرتوي من كيزان حنانهما، ويستظل بفيء رضاهما، فهما جناحاه في جو الدنيا وزخرفها الفانية، وهما موئله الحاني حين تعترضه مواجع الحياة وأقدارها، فإن الشّيْب الذي يراه وخط أبويه إنما يلخص له قصّة النّعيم الذي يعيشه في حاضره.

إنّهما من شقِيا ليسعد، ومن نصبا كي يستريح.

إنهما ليسهران لأجل أن يرقد، ويخافان لكي يطمئن، وترتعد فرائصهما ويحتبس دمعهما حين يخرج من البيت فلا يرتدّ إليهما الأمن إلا حين عودته.

الأبوان –عباد الله– هما من يبكيان ليبتسم أولادهما، وهما من يحزنان ليفرح أولادهما، وهما من يشقيان ليسعد أولادهما، إنّهما اللذان يجوعان ليشبعوا، ويعطشان ليرتووا، إنهما في الحقيقة كتلكم الشمعة التي تحترق حتى تذوب ليستضيء الأولاد باحتراقها.

إنه قلب الأم! والله جلّ وعلا يقول:﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغًا﴾، وإنها عين الأب! والله جلّ شأنه يقول: ﴿وابيضّت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾، إنها غاية المشاعر الجياشة، والعواطف النابضة أن يفرغ قلب الأم، وأن تبيَضّ عين الأب لأجل أولادهما، ﴿فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريمًا ۝ واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا﴾.

فيا لله! ما أسعد من مات عنه أبواه أو هو مات عنهما وهما عنه راضيان، لله ما أسعده وما أهناه!

ولله ما أحسن ما جاء عن إياس بن معاوية أنه لما ماتت أمه بكى عليها بكاءً شديدًا، فلما سُئل قال: كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة فأغلق أحدهما.

ثم يا لله ما أخيب من ماتا عنه أو مات عنهما وهما عليه غاضبان! ألا ما أضلّه وما أخسره بُعدًا له وسحقًا؛ فإن الله قد قرن الإحسان بهما مع عبادته فقال: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانًا﴾، وقرن شكرهما مع شكره فقال: ﴿أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾.

بل إن الله جل وعلا جعل بر الوالدين من أسباب قبول العمل والتجاوز عن السيئات كما قال في كتابه: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانًا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا حتى إذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنةً قال ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحًا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين۝أولئك الذين نتقبّل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾.

وقد قال الفاروق رضي الله عنه لأويس القرني: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يأتي عليكم أويس بن عامر... الحديث" ..إلى أن قال: "له والدةٌ هو بها بَرّ لو أقسم على الله لأبرّه فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل"؛ فاستغفر لي! فاستغفر له. رواه مسلم

إن القلب إذا لامس شغافه برُّ الوالدين كان له حصنًا منيعًا من الكبر والغلظة والعقوق والنكران؛ فان البرّ طبع متين طارد لخصال السوء والسفساف، فما رأى الناس بارًّا خبيث الطبع، ولا رأوا خبيثًا بارًّا.

وقد أحسن الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز حين قال لابن مهران لا تصاحب عاقًّا؛ فانه لن يقبلك وقد عقّ والديه.

ولا عجب –عباد الله– فإن الله جل شأنه جعل الشقاء والجبروت مضادين للبر بالوالدين كما في قوله عن يحيى عليه السلام: ﴿وبرًّا بوالديه ولم يكن جبارًا عصيًّا﴾، وكما في قوله عن عيسى عليه السلام: ﴿وبرًّا بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شقيًّا﴾.

إنه لن يحبَّك أحد كحبّ والديك لك؛ إنهما يأخذان من نفسيهما ليمنحانك، نعم قد لا يمنحانك كل شيء تريده لكنهما دون ريب قد منحاك ما يملكانه.

إذا عُلم ذلكم –عباد الله– فإن البر أمانة يحملها الأولاد على عاتقهم ما داموا أحياءً، فالبر لا يهرم ولا ينبغي له أن يهرم، بل لا تزيده الأيام والسنون إلا جمالاً وصلابةً وتجددًا، فبر الوالدين ينبغي أن يكون شابًا لا يشيخ وإن شاخ الآباء والأولاد، ولا ينبغي أن يكون عبئًا ثقيلاً يتقاسمه الأولاد بينهم تقاسمًا وظيفيا خروجًا من المسؤولية، وانسلالاً من التبعة، وإنما البر في الحقيقة دِين ودَين، فهو سباقٌ دينيٌ أخرويٌ، يتلذذ به البارّ ليفضي به إلى بابٍ من أبواب الجنة، وكذاك هو وفاء دينٍ دنيوي، يقضي به المرء ما في ذمته لوالديه من معروف، وإنه مهما قضى من ذلكم المعروف فلن يوفيهما حقهما بالغاً ما بلغ من الجهد والبر، فقد رأى عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما رجلاً من أهل اليمن حمل أمه على عنقه فجعل يطوف بها حول البيت وهو يقول: إني لها بعيرها المذلل.. إن أُذعِرت ركابها لم أُذعر.. الله ربي ذو الجلال الأكبر.. حملتها أكثر مما حملتني.. فهل ترى جازيتُها يا ابن عمر؟ قال: لا ولا بزفرةٍ من زفراتها. يقصد زفرات الولادة.

لقد ضرب لنا سلفنا الصالح أروع الأمثلة في البر بالوالدين حتى إن أحدنا ليحقر بره أمام برهم، وإن من برهم بوالديهم ما جاء عن أسامة بن زيد، فقد كانت النخلة تبلغ بالمدينة ألفًا فعمد أسامة بن زيد إلى نخلة فقطعها من أجل جُمّارها، فقيل له في ذلك فقال: إن أمي اشتهته علي وليس شيء في الدنيا تطلبه أمي أقدر عليه إلا فعلته.

وكان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه إذا أراد أن يخرج من بيته وقف على باب أمه فقال: السلام عليك يا أماه ورحمة الله وبركاته، فتقول: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فيقول: رحمك الله كما ربيتني صغيرًا، فتقول: رحمك الله كما بررتني كبيرًا.

وقال سعيد بن سفيان الثوري: ما جفوت أبي قط وإنه ليدعوني وأنا في الصلاة غير المكتوبة فأقطعها له.

وعن عمر بن ذر أنه لما مات ابنه قيل له كيف كان بره؟ قال ما مشى معي نهارًا قط إلا كان خلفي، ولا ليلاً إلا كان أمامي، ولا رقي على سطح أكون تحته.

إذا كانت تلكم أمثلة سطرها سلفنا الصالح في برهم بوالديهم.. فثمة خلوف في أعقاب الزمن قد سطروا أسوأ الامثلة وأقبحها في عقوق الوالدين، من خلال هجرانهما أو التأفف منهما أو تقديم الأصحاب والزوجات عليهما، ناهيكم عن إهمالهما واعتبارهما عبئا ثقيلا، عاقبته الزّجّ بهما في المصحّات ودور الرعاية، وربما عجّت المحاكم والشرط بصور مفجعة من عقوقهما، عافانا الله وإياكم من ذلك.

أما يعلم العاق أنه بعقوقه هذا يعد مُصرًّا على كبيرة من كبائر الذنوب التي قال النبي ﷺ عنها: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟" قالها ثلاثًا، قالوا: بلى يا رسول الله. قال: "الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئًا فقال: ألا وقول الزور". رواه البخاري ومسلم

ألا فليتأمل العاق مليًّا أن الجزاء من جنس العمل، وأنه كما يدين المرء يدان، وأن جزاء السيئة سيئةٌ مثلها، وأن البر في أكثر الأحيان يلحق، والعقوق كذلكم.

وليتأمل بكامل فكره فيما ذكره بعض أهل العلم في كتب البر والصلة، عن واقعة حصلت لبعض الناس، يقول فيها: كنت أطوف بالأحياء، حتى انتهيت إلى شيخ في عنقه حبل يستقي بدلو في الهاجرة والحر شديد، وخلفه شاب في يده حبل من جلد مدبوغ ملوي، يضربه به قد شق ظهره بذلك الحبل. فقلت أما تتقي الله في هذا الشيخ الضعيف؟ أما يكفيه ما هو فيه من هذا الحبل حتى تضربه؟ قال: إنه –مع هذا– أبي. قلت: فلا جزاك الله خيرا. قال: اسكت فهكذا كان هو يصنع بأبيه، وهكذا كان يصنع أبوه بجده.. فقلت هذا أعق الناس.

ألا ما ألأم من عامل والديه بسوء وما أحقره، كيف يهنأ وهما عليه غاضبان، وكيف يفرح وهما منه حزينان، وكيف يشبع وهما بسببه جائعان، كيف يقدم أهله وولده عليهما بالإحسان، كيف يفعل بهما ذلك وهما من غسلا بأيديهما عنه الاذى، وآثراه على نفسيهما بالشراب والغذاء، وصيّرا حجرهما له مهدا، وإن أصابه عارض أو شكاية أظهرا من الأسف ما يهد قواهما، ولو خيرا بين حياته

وموتهما لآثرا حياته على حياتهما، إن الأم ستظل أمًا والأب سيظل أبًا مهما ارتفع ضجيج أولادهما، ومهما اتسع شقاقهم واستفحل عقوقهم، فحقوق الوالدين لا تسقط بالتقادم، وعقوقهما لا يغسله ماء البحر، ولا كفارة للعقوق بعد التوبة إلا البر والبر والبر لا غير.

فيا أيها العاقون البدار البدار بالتوبة الخالصة والبر الصادق قبل فوات الأوان برحيلهما من هذه الدنيا، فإنهما لن يريا دموعكم التي ستذرفونها بعد أن يغادروها ولن يشعرا بقبلاتكم لجثمانهما ولا بضمكم لهما ولا بتنهيداتكم لرحيلهما، فلا قيمة لشيء من ذلكم البتة ما داما لم يرياها منكم وهما على قيد الحياة.

فتالله وبالله لقد رغمت أنوفكم ثم رغمت أنوفكم ثم رغمت أنوفكم أن تدركوا أبويكم عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخلاكم جنة ربكم، كما صح بذلكم الخبر عن الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه. ألا أيها العاق ها قد علمت فالزم، فقد أحسن من انتهى إلى ما سمع، وخذ العبرة من قصة الرجل الذي قال لعبد الله بن عباس: إني قتلت نفسًا فهل لي من توبة؟ فقال له: أمك حية؟ قال: لا. فقال له: أكثر من الاستغفار. ولما انصرف الرجل قال عطاء بن يسار لابن عباس: يا ابن عم رسول الله رأيتك سألته عن أمه. فقال ابن عباس: لا أعلم عملاً أحب إلى الله من بر الوالدة. رواه البخاري

اللهم إنا نسألك البر والإحسان، ونعوذ بك من العقوق وإضاعة الحقوق، ومن الشقاق والنفاق وسيء الأخلاق.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيهما من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب وخطيئة فاستغفروه وتوبوا إليه إن ربي كان غفورًا رحيمًا.

## الخطبة الثانية

**الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأصلي وأسلم على رسوله الداعي إلى رضوانه. وبعد.. فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن للثمر بذرًا وللبذر سقايةً، فكذلكم البر له بذرٌ وله سقاية؛ فحريٌّ بالوالدين أن يحسنا تربية الأبناء، وينشئاهم نشئًا صالحًا، وإنما يكون الجذاذ يوم الحصاد، فعند الجذاذ يتبين حلو الثمار من مرها.**

**ومن أحسن غراسَه حسُن قطافُه، ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا﴾.**

**ثم اعلم أيها الأب واعلمي أيتها الأم أن بر الوالدين نتيجة لمقدمة سابقة من التربية الصالحة، والعاطفة الحميدة، والبذل الحسن؛ فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ليكونوا لكم في البر سواءً.**

**دخل الأحنف بن قيس على معاوية بن أبي سفيان ويزيد ابنه بين يديه، فقال معاوية سائلاً الأحنف: يا أبا بحر ما تقول في الولد؟ فقال الأحنف: يا أمير المؤمنين هم عماد ظهورنا، وثمر قلوبنا، وقرة عيوننا، بهم نصول على أعدائنا، وهم الخلف منا لمن بعدنا، فكن لهم أرضًا ذليلة، وسماءً ظليلة، إن سألوك فأعطهم، وإن استعتبوك فأعتبهم، لا تمنعهم رفدك، فيملُّوا قربك، ويكرهوا حياتك، ويستبطئوا وفاتك. فقال معاوية: لله درك يا أبا بحر هم كما وصفت.**

**ثم احذروا أيها الأولاد أشد الحذر من أن يدعو عليكم الأب أو الأم، فإنه لا يدعو أحد منهما على ولده إلا لعقوق عظيم ناله منه، بعد أن حمله صغيرًا، وأطعمه جائعًا، وكفكف دمعه باكيًا. فلما شبَّ عن الطوق ورأى أنه قد استغنى بعقله وقواه، سلّ سيف عقوقه من غمده، وانتزع سهم نكرانه إلى قوسه، فلمثل ذلكم تخرج الدعوات الصادقات منهما، فويل لمن دعا عليه أبواه، ويل له ثم ويل له؛ فإن الدعوات لا ينطقها إلا لسان أم أو أب سحقهما الإحساس بعقوق ولدهما سحقا، وشرقا بمرارة جحوده شرَقا، ولا تسألوا حينئذ عن نفس منكسرة ومرارة تذكي تلكم الدعوات.**

ولا عجب فهي دعوة مكلوم قَمِنٌ أن يستجاب لها، كما نقل بعض أهل العلم عن أحد السالفين في زمن عبد الملك بن مروان يدعو على ولده العاق قائلا:

تغمد حقي ظالما ولوى يدي لوى يده الله الـذي هو غالبه
وإني لداع دعوة لو دعـوتها على جبل الريان لانهد جانبه
أيظلـمني مالي ويحنث ألـوتي فسوف يلاقي ربه فيحاسبه

فابتلى الله هذا الابن العاق بابن أعق منه، نسأل الله لنا ولكم العفو والعافية.

فاتقوا الله أيها الأولاد، وإياكم واحتقار كلمة أف، فهي وإن كانت من أقل الكلمات حروفًا، وأهونها نطقًا، إلا أنها من أبينها جرمًا، وأوجزها عقوقًا. واعلموا كذلكم أنه من اتقى والداه ردود أفعاله فهو عاق دون ريب، وأنه كما قال عروة بن الزبير: ما بر والديه مَن أحدَّ النظر إليهما.

ثم لتتق الله أيتها الزوجة وأنت أيها الزوج وليكن كل واحد منكما عونًا للآخر على بر والديه، فبئست زوجات الأبناء وبئس أزواج البنات إذا كانوا عقبةً كؤودًا دون بر الوالدين وصلتهم، ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾.

اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

وارضَ اللهم عن خلفائه الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر صحابة نبيك محمد ﷺ وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنّا معهم بعفوك وجودك وكرمك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين

اللهم أعز الإسلام والمسلمين

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين

اللهم فرّج همّ المهمومين من المسلمين

ونفّس كرب المكروبين

واقض الدين عن المدينين

واشف مرضانا ومرضى المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين

اللهم آمنا في أوطاننا

وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا

واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين

**اللهم وفق ولي أمرنا لما تحبه وترضاه من الأقوال والأعمال يا حي يا قيوم اللهم أصلح له بطانته يا ذا الجلال والإكرام**

**اللهم وفقه وولي عهده لما فيه صلاح البلاد والعباد**

**اللهم اغفر لآبائنا وأمهاتنا**

**اللهم اغفر لآبائنا وأمهاتنا**

**اللهم ارحمهم كما ربونا صغارا**

**اللهم من كان منهم حيًا فأطل في عمره على عمل صالح**

**ومن كان منهم ميتا فارحمه رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناتك يا ذا الجلال والإكرام**

**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**

**اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين**

**اللهم لا تحرمنا خير ما عندك بشر ما عندنا يا ذا الجلال والإكرام**

**سبحان ربنا رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.**